دلالة الفروق اللغوية في تأويل مشكل القرآن الكريم
(نماذج من القرآن الكريم)

الدكتور: بلقاسم عيسى

The significance of linguistic differences in the interpretation of the problem of the Noble Qur'an (examples from the Noble Qur'an)

قسم اللغة والأدب العربي -جامعة ابن خلدون-تيارت(الجزائر)
soudisalah20@yahoo.fr

تاريخ الإيداع: 2020/10/29 تاريخ القبول: 2020/12/29 تاريخ النشر: 2021/03/15

ملخص:

لقد حظي القرآن الكريم عبر العصور كلها باهتمام كبير، لما يتميز به من أسلوب إعجازي بليغ، فهو كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد دأب علماء التفسير للعناية بفهم معانيه، ففسّروه وأوّلوه، ومن العلوم المهمة التي ألف فيها علماء التراث هو علم الفروق اللغوية من حيث معانيه وألفاظه؛ لاسيما أن ألفاظ القرآن الكريم متعددة، وآراء المفسرين متفقة أحيانا ومتباينة أحيانا أخرى وللفروق اللغوية ارتباط وثيق بينها وبين علم مشكل القرآن الكريم الذي أفرد له علماء التراث عبر مدوناتهم دراسات معمقة حول كل لفظة من ألفاظ كتاب الله مستخدمين تأويل وحل للآيات المستشكلة من لدن المفسر والمؤول معا، والرد على المشككين وطعنهم للآيات المتشابهة والذود عن كتاب الله، للوصول للمقصدية الحقيقية لكل آية مستشكلة، بغية إيصال الفهومات للمتلقي .

هذا مجمل ما يتناوله هذا البحث وهو علاقة الفروق اللغوية بتأويل مشكل القرآن.

الكلمات المفتاحية:الفروق اللغوية، التأويل، مشكل القرآن الكريم

Abstract: Throughout all ages, the Noble Qur'an has received great attention due to its eloquent, miraculous style, for it is the word of God that the falsehood does not come from his hands nor from behind it. Tafsir scholars have always taken care to understand its meanings, so they interpreted and prioritized it, and one of the important sciences in which scholars have composed Heritage is the science of linguistic differences in

terms of its meanings and expressions; Especially since the Holy Quran has multiple words The commentators' opinions are sometimes consistent and diverging at other times, and the linguistic differences are closely related to it and the problematic science of the Holy Qur'an, for which heritage scholars have devoted, through their blogs, in-depth studies on each of the words of the Book of God using an interpretation and solution of the verses formed by the interpreter and the official together, and to respond to skeptics and their challenge to similar verses And defending the Book of God, in order to reach the true intention of each problematic verse, in order to convey the understandings of the recipient.

key words: Linguistic differences, interpretation, the problem of the Holy Quran

تمهيد:

الفروق اللّغوية نعني بها تلك الفروق بين المعاني المتقاربة، حتى ليستشكل على المتلقّي في التفريق بين اللفظتين، مثل التيه الكبر، والكبر والكبرياء ،الخشوع والخضوع...وغيرها.

وفي هذا المقال أحاول رصد الفروق اللّغوية في القرآن الكريم وأقوال علماء التفسير بين الاتّفاق والتباين في مدوّناتهم ،ومنه:

- **الفرق بين العباد والعبيد**:

ونبدأ بقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴾[1]،فقد توقف علماء التفسير عند قوله ﴿ عِبَادًا لَنَا ﴾ ما المقصود من

(العباد) ، وهل تعني المؤمن وحده، أو المؤمن والكافر على السواء؟!، وما الفرق بين (العباد) و(العبيد) وكيف للقرآن الكريم في قصة عيسى عليه السلام يقول: ﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[2].

يرى الشعراوي في تفسيره أن هناك من يرى أن العباد والعبيد سواء، وأن عباداً تقال للمؤمن والكافر، وفق أدلة القوم –حسب زعمهم- والشاهد عندهم قوله تعالى:﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾[3].

فقد أطلقت كلمة (عبادي) على الكافرين الذين لا يؤمنون بالله ويكفرون به سبحانه، ثم استدلوا بآية أخرى تحكي موقفا من مواقف يوم القيامة [4] يقول الله تعالى للشركاء الذين اتخذوهم من دون الله ﴿ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ ﴾[5] فأطلق كلمة (عباد) على الكافرين، ولهذا فقوله تعالى: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا﴾[6]

لا تطلق بالضرورة على فئة المؤمنين، فقد يطلق القرآن الكريم على الفئة الكافرة لفظة (العباد)، وبالتالي أن الحق سبحانه يريد الانتقام منهم، فيهلك الكفرة بالكفرة أمثالهم[7] ويسلط عليهم منهم أشد بطشا وظلما وتنكيلا.

ومن الآراء الأخرى، نستعرض قول الأزهري حيث يقول : "إذا اجتمع العامة على تفرقة ما بين عباد الله والمماليك، فقالوا هذا عبد من عباد الله، وهؤلاء عبيدٌ مماليك[8].

جاء في لسان العرب لابن منظور في مادة عبد: "العبد: الإنسان حرا كان أو رقيقاً، يذهب بذلك إلى أنه مَرْبُوبٌ لباريه، جل وعلا... والعبد المملوك خلاف الحر، قال سيبويه: هو في الأصل صفة: قالوا: رجل عبدٌ، ولكنه استعمل استعمال الأسماء والجميع أعبد وعبيد"[9]

ومنهم من يخالف الرأي السابق ودليله أن قول الله تعالى:﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [10] فهؤلاء (العباد) أطلقت عليهم هذه الصفة بسبب اتصافهم بالصفات المحمودة، والابتعاد عن الصفات المرذولة، ومنه قوله تعالى ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [11] والمراد هاهنا بكلمة (عبادي) الفئة المؤمنة.

فالمسألة فيها إشكال، وحتى يزال الإشكال وتحل المسألة يرى الشعراوي أن : "عباد وعبيد كلاهما جمع، ومفردها واحد (عبد) فما الفرق بينهما؟

ف "الكافر والمؤمن لهم اختيارات في أشياء ومقهورين في أشياء أخرى فهم جميعا عبيد"[12] و"بهذا المعنى يستوي في القهر المؤمن والكافر، وأن كل الخلق عبيد فيما لا اختيار لهم فيه، وهما: قسمان: عبيد يظلون عبيدا تسمو بهم أعمالهم وانصياعهم لأمر الله فيدخلون في مظلة عباد الله، فقد جعل الله في أفعالك منطق الاختيار فجَعلك قادراً على الفعل ومقابله، وخلقك صالحاً بالإيمان تكليفاً"[13]

ومادام المؤمن في منطقة الاختيار يتمايز العبيد والعباد، فالمؤمنون بالله يخرجون عن اختيارهم إلى اختيار ربهم، ويتنازلون عن مرادهم إلى مراد ربهم في المباحات، فتراهم ما أمرهم الله به، ويجعلون الاختيار كالقهر، فيطيعون الله تعالى وَيسلمون أنفسهم لله سبحانه، فهم العباد الذين سلموا جميع أمورهم له –جل وعلا- في منطقة الاختيار، فلا إرادة لهم أمام إرادة الله تعالى، وكلمة (عباد) تطلق على الشخص الذي يتنازل عن منطقة الاختيار، وجعل نفسه لله ذليلاً مقهوراً حتى في المباحات[14]

أما الفئة الكافرة: فهم الذين اختاروا مرادهم وتركوا مراد الله، واستعملوا اختيارهم، ونسوا اختيار ربهم حيث خيَّرهم بين الكفر والإيمان، ووضعوا أنفسهم في المحظورات بدل الحلال، فهؤلاء هم (العبيد)، عبيد لشهواتهم ونزواتهم، فلا يقال لهم عبيد[15]

ولكن هل هذا الاختيار يكون في الدنيا والآخرة أم في الدنيا فقط ف "منطقة الاختيار هذه لا تكون إلا في الدنيا في دار التكليف لأنها محل الاختيار، وفيها نستطيع أن نميز بين العباد الذين انصاعوا لربهم وخرجوا عن مرادهم لمراده سبحانه، وبين العبيد الذين تمردوا، واختاروا غير مراد الله عز وجل في الاختيارات، أما في القهريات فلا يستطيعون الخروج عنها، فإذا جاءت الآخرة، فلا محل للاختيار والتكليف فالجمع مقهور لله تعالى، ولا مجال فيها للتقسيم السابق، بل الجميع عبيد وعباد في الوقت ذاته...."[16]

قال أبو البقاء العكبري في كتابه: التبيان في إعراب القرآن أن المقصود بالعباد (عباداً لنا) بالألف وهو المشهور، ويقرأ عبيداً[17]

وهو جمع قليل، ولم يأتِ منه إلا ألفاظ يسيرة"[18] أما ابن عباس فيفسرها ب "بختنصر وأصحاب ملك بابل"[19]

ولا يزيد ابن كثير في تفسيره للآية الكريمة بقوله "أي سلطنا عليكم جنداً من خلقنا أولي بأس شديد، أي قوة وعدة وسلطنة شديدة "[20]

أما الرازي فيرى تفسير قوله تعالى: ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾[21] في أن لفظة عباد "اختلفوا في أن هؤلاء العباد من هم؟ قيل إن بني إسرائيل تعظموا وتكبروا واستحلوا المحارم، وقتلوا الأنبياء وسفكوا الدماء، وذلك أو الفاسدين فسلط الله عليهم (بختنصر) فقتل منهم أربعين ألفا ممن يقرأ التوراة، وذهب البقية إلى أرض نفسه فبقوا هناك في الذل إلى أن قيض الله ملكا آخر غزا أهل بابل، واتفق أن تزوج بامرأة من بني إسرائيل فطلبت تلك المرأة من ذلك الملك أن يرد بني إسرائيل إلى بيت المقدس ففعل، وبعد مدة قامت فيهم الأنبياء ورجعوا إلى أحسن ما كانوا فهو قوله: "ثم رددنا لكم الكرة عليهم"

والقول الثاني: إن المراد من قوله: ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا ﴾ أن الله تعالى مسلط عليهم جالوت حتى أهلكهم وأبادهم، وقوله "ثم رددنا لكم الكرة" هو أنه تعالى قوى طالوت حتى حارب جالوت ونصر داوود حتى قتل جالوت فذاك هو عود الكرة، والقول الثالث: إن قوله ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا ﴾ هو أنه تعالى ألقى الرعب من بني إسرائيل في قلوب المجوس، فلما كثرت المعاصي فيهم أزال ذلك الرعب عن قلوب المجوس فقصد وهم وبالغوا في قتلهم وإفنائهم وإهلاكهم.

واعلم أنه لا يتعلق كثير غرض في معرفة أولئك الأقوام بأعيانهم، بل المقصود، وهو أنهم لما أكثروا من المعاصي سلط عليهم أقواما قتلوهم وأفنوهم"[22]

بينما صاحب التسهيل لا يختلف في هذه المسألة عن الرازي حيث يقول في تفسير قوله تعالى ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا﴾ "معناه أنهم إذا أفسدوا في المرة الأولى

بعث الله عليهم عبادا له لينتقم منهم على أيديهم واختلف في هؤلاء العبيد، فقيل جالوت وجنوده وقيل "بختنصر" ملك بابل"[23]

وفي ظلال القرآن الكريم يفسر قوله تعالى "﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾ فهذه هي الأولى: يعلون في الأرض المقدسة ويصبح لهم فيها قوة وسلطان، فيفسدون فيها، فيبعث الله عليهم عباداً من عباده أولي بأس شديد، وأولي بطش وقوة، يستبيحون الديار، ويروحون فيها ويغدون باستهتار، ويطؤون ما فيها ومن فيها بلا تهيب "وكان وعداً مفعولاً"، لا يخلف ولا يكذب"[24]

وعليه فإن: الكل عباد في الآخرة وليس الكل عباداً في الدنيا، وعلى هذا نستطيع فهم معنى (عباد) في الآيتين ﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾[25] ﴿ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ ﴾[26] فسماهم الحق سبحانه عباداً، لأنهم لم يعد لهم اختيار يَتَمَرَّدُونَ فيه، فاستووا مع المؤمنين في عدم الاختيار مع مرادات الله عز وجل ، فقوله ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا﴾[27] المقصود بها الإفساد الأول الذي حدث من اليهود في ظل الإسلام، حيث نقضوا عهدهم مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم- والعباد: هم رسول الله والذين آمنوا معه عندما جاسوا خلال ديارهم وأخرجوهم من المدينة وقتلوا منهم من قتلوه وسبوا من سبوه، والعباد هم من يجعلون كل حياتهم لله أذلاء له فبذلهم عزتهم وبقهرهم من الله سبحانه نصرهم...

أما العبيد فهم الذين ركنوا في الدنيا لشهواتهم ونزواتهم وهم الفئة الكافرة، فهي فئة متمردة على القيم والمثل العليا، وهذه خاصية لهم في الدنيا فقط، أما في الآخرة فكلنا: عباد وعبيد، مقهورون لله سبحانه، ولا مجال للتقسيم كما هو الحال عند علماء التراث.

- **<u>الفرق بين كسبت واكتسبت</u>**:

في قوله تعالى ﴿ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ﴾[28] جاء في لسان العرب لابن منظور أن كسب: "الكسب: طلب الرزق، وأصله الجمع، كَسَبَ، يَكْسِبُ، كَسْبًا، وتكسَّبَ واكتسب، قال سيبويه: كَسَبَ أصاب، واكتسب، تصرف واجتهد، قال ابن جني: قوله تعالى "لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت" عبَّر عن الحسنة بكسبت، وعن السيئة باكتسبت، لأن معنى: كَسَبَ، دون اكتسب لما فيه من الزيادة، وذلك أن كسب الحسنة، بالإضافة إلى اكتساب السيئة، أمر يسير ومستصغر وذلك لقوله: عز اسمه: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها... قال ابن الأثير: يقال: كسبت زيداً مالاً، وأكسبت زيداً مالاً أي: أعنته على كسبه أو جعلته يكسبه" [29]

ويفسرها ابن عباس بقوله: "لكل امرئ" أي: "ممن خاض في أمر عائشة وصفوان بن المعطل، وأما قوله تعالى (ما اكتسبت) فهو بمعنى "على قدر ما خاض فيه"[30]، وفي السياق نفسه

يقول صاحب مفاتيح الغيب "ومعلوم أن نفس ما اكتسبوه لا يكون عقوبة، فالمراد لهم جزاء ما اكتسبوه من العقاب في الآخرة، والمذمة في الدنيا، والمعنى أن قدر العقاب يكون مثل قدر الخوض"[31]

فالذي خاض في عرض عائشة رضي الله عنها وأرضاها و"كل من تكلم في هذه القضية، ورمى أم المؤمنين عائشة بشيء من الفاحشة نصيب عظيم من العذاب"[32]

قال صاحب الظلال "أما الذين خاضوا في الإفك فلكل منهم بقدر نصيبه من تلك الخطيئة "لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم"، ولكل منهم نصيبه من سوء العاقبة عند الله، وبئس ما اكتسبوه، فهم إثم يعاقبون عليه، في حياتهم الدنيا وحياتهم الأخرى"[33]

وفي علم الدلالة قاعدة ثابتة وهو قولهم: "كل ما زاد في المبنى، يزاد في المعنى، فكسب، واكتسب فالأولى ميزانها الصرفي: فَعَلَ، والثانية: افتعل، بزيادة التاء، ففيها إشكال: و"عادة ما يستخدم الفعل: كسب: المجرد في الخير، والفعل اكتسب المزيد الدالة على الافتعال في الشر لماذا؟ قالوا: لأن فعل الخير يتمشى وطبيعة النفس، وينسجم مع ذواتها وتكوينها، فالذي يقدم على عمل الخير لا يقاوم شيئا في نفسه، ولا يعارض ملكته من ملكاته، أو عادة من العادات في ذاتية الإنسان وفي تكوينه، وحتى في الحيوان، ما يعرف به الخير والشر، والصواب والخطأ فالأمر الطبيعي تستجيب له النفس تلقائيا، أما الخطأ والشر فيحتاج إلى افتعال لذلك عبر عن المكر والتبييت والكيد بـ (اكتسب) الدال على الافتعال"[34]

وقوله تعالى ﴿ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾[35] و"كلمة كسب تدل على عمل من أعمال جوا رحل يجلب لك خيرا أو نفعاً... وهناك كسب وهناك اكتسب... كسب تأتي بالشيء النافع، واكتسب تأتي بالشيء الضار"[36]

- **<u>الفرق بين الفقر والمسكنة:</u>**

ما الفرق بين فقير ومسكين في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ﴾[37] جاء في لسان العرب أن فقر من "الفقر، والفقر ضد الغنى، مثل الضعف، والضُّعف"[38] الأولى بكسر الضاد والثانية بضمها وعند الليث "والفقر لغة"[39] بضم الفاء وتسكين القاف، "ابن سيده: وقدر ذلك أن يكون له ما يكفي عياله، ورجل فقير من المال، وقد فَقُرَ فهو فقير، والجمع فقراء، والأنثى فقيرة من نسوة فقائر، وحكى اللحياني: نسوة فقراء، قال ابن سيده: ولا أدري كيف هذا؟، قال: وعندي أن قائل هذا من العرب لم يعتد بهاء التأنيث فكأنه إنما جمع فقيرا. قال: ونظيره نسوة فقهاء، ابن السكيت: الفقير: الذي له بُلْغَةٌ من العيش، قال الراعي يمدح عبد الملك بن مروان ويشكو إليه سُعَاته

-أما الفقير الذي كانت حَلُوبَتُ وفق العيال فلم يترك له سَبَدُ[40]

ثم قال "والمسكين: الذي لا شيء له: وقال يونس: الفقير أحسن حالاً من المسكين، قال، وقلت لأعرابي مرة: أفقير أنت، فقال: لا والله: بل مسكين، فالمسكين أسوء حالاً من الفقير، وقال ابن الأعرابي: الفقير الذي لا شيء له. قال والمسكين مثله، والفقر: الحاجة، وفعله الافتقار، والنعت فقير، وفي التنزيل العزيز: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾ سئل أبو العباس عن تفسير الفقير والمسكين، فقال: أبو عمرو بن العلاء، فيما يروي عنه يونس، الفقير الذي له ما يأكل، والمسكين الذي لا شيء له، ويروى عن خالد بن يزيد أنه قال: كأن الفقير إنما سمي فقيراً لزمانة تصيبه مع حاجة شديدة تمنعه الزمانة من التقلب في الكسب على نفسه فهذا هو الفقير"[41]

بينما يرى آخرون العكس من ذلك حيث يقولون أن المسكين أحسن حالا من الفقير ومنهم الأصمعي حيث يقول: "المسكين أحسن حالا من الفقير، قال، وكذلك قال أحمد بن عبيد، قال أبو بكر، وهو الصحيح عندنا، لأن الله تعالى سمى من له الفلك مسكينا فقال : ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾[42] والذي احتج به يونس، من أن الأعرابي قال لا والله بل مسكين، يجوز أن يكون أراد لا والله بل أنا أحسن من الفقير[43].

و"قيل الفقير الذي لا شيء له، والمسكين الذي له بعض ما يكفيه، وإليه ذهب الشافعي -رضي الله عنه- وقيل فيهما العكس، وإليه ذهب أبو حنيفة رحمه الله"[44]

قال الفراء في قوله عز وجل : ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾ هو أصل صفة النبي صلى الله عليه وسلم كانوا لا عشائر لهم، فكانوا يلتمسون الفضل في النهار ويأوون إلى المسجد، قال: والمساكين: الطوافون على الأبواب"[45]

قال ابن عرفة: الفقير عند العرب،المحتاج،قال الله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾[46] أي المحتاجون إليه، فالمسكين الذي أذله الفقر، فإذا كان هذا مسكنته من جهة الفقر جازت له الصدقة، فهو فقير مسكين، وإذا كان مسكينا ما أذله إلا الفقر فالصدقة لا تحل له.[47]

قال صاحب التسهيل لعلوم التنزيل مفسرا قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾ الآية: "إنما هنا تقتضي حصر الصدقات وهي الزكاة في هذه الأصناف الثمانية، فلا يجوز أن يعطى من غيرهم، ومذهب مالك أن تفريقها في هؤلاء الأصناف إلى اجتهاد الإمام، فله أن يجعلها في بعض دون بعض، ومذهب الشافعي أنه يجب أن تقسم على جميع هذه الأصناف بالسواء"[48] والإشكال في الآية أيهما أشد حاجة الفقير أو المسكين؟ وأيهما أحق من الآخر في الصدقة؟

فمنهم من قال أن الفقير أكثر حاجة من المسكين، ومنهم من قال المسكين أشد حاجة من الفقير ومنهم من قال: هما سواء ف "قيل الفقير الذي يسأل الناس ويعلم حاله، والمسكين ليس كذلك"[49]

بينما يرى النسفي أن المسكين أقل من الفقير، فيفسر قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾ ف" قصر جنس الصدقات على الأصناف المعدودة أي هي مختصة بهم لا تتجاوز إلى غيرهم كأنه قيل: إنما هي لهم لا لغيرهم...فيحتمل أن تصرف إلى الأصناف كلها، وأن تصرف إلى بعضها كما هو مذهبنا وعن حذيفة وابن عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين أنهم قالوا: في أي صنف منها وضعتها أجزأك وعند الشافعي وعند الشافعي –رحمه الله-: لابد من صرفها إلى الأصناف، وهو المروي عن عكرمة، ثم الفقير الذي لا يسأل، لأن عنده ما يكفيه للحال والمسكين الذي يسأل لأنه لا يجد شيئا فهو أضعف حالا منه وعند الشافعي –رحمه الله على العكس"[50]

وفي المقياس لتفسير ابن عباس يُوْجِزُ تفسير الآية بقوله: (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ) لأصحاب الصفة، و(الْمَسَاكِينِ) للطوافين.[51]

ويضيف الإمام الرازي جزئية أخرى في الصدقة على الفقراء والمساكين وهي شرط الإسلام حيث يقول: "يتناول الكافر والمسلم إلا أن الأخبار دلت على أنه لا يجوز صرف الزكاة إلى الفقراء والمساكين وغيرهم إلا إذا كانوا مسلمين"[52] و"أول المستحق لها هم الفقراء، والمساكين، والفقراء هم الذين يجدون دون الكفاية، والمساكين مثلهم ولكنهم هم الذين يتجملون فلا يبدون حاجتهم ولا يسألون" [53]

يقول الطبري: "الفقراء هم المحتاجون المتعففون عن المسألة، والمسكين: الطوافون السائلون"[54] فأيهما أحق بالصدقة، وما المراد بالصدقة، هل هي الصدقة المعروفة أم الزكاة؟ "فما دام الحق سبحانه قد حدد لها مصارف فهي الزكاة"[55]

وسماها بالصدقة لأن الفقير يعطف عليه من المجتمعات حتى الملحدة ففي الفطرة الإنسانية يعطف الأخ على أخيه دون مقابل، إلا أن الآية المستشكلة، اختار العلماء في الأحقية من الزكاة هل الفقير أم المسكين كما نقلنا من مدونات علماء التراث، فمنهم من قدم الفقير على المسكين، لأن الفقير أحوج الناس من غيره على المشهور، ولشدة فاقته وحاجته، فعند أبي حنيفة، المسكين أسوء حالاً من الفقير، وهو عند أحمد، وعند ابن جرير وغيره أن الفقير هو المتعفف الذي لا يسأل الناس شيئا، والمسكين هو الذي يسأل الناس ويطوف ويتبع الناس.[56]

ومنهم من قدم أحقية الزكاة للفقير وحده، دون المسكين، وحجتهم: أن الفقير هو الذي لا يجد شيئا فهو معدم، والمسكين: من يملك شيئا ولكنه لا يكفيه، وعلى هذا يكون المسكين

أحسن حالا من الفقير، واستندوا في ذلك إلى نص قرآني في قوله تعالى ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ ﴾[57]

ومادام هؤلاء المساكين يملكون سفينة إذن فعندهم شيء يملكونه، ولكن العائد الذي تأتي به السفينة لا يكفيهم، والبعض قال عكس ذلك تماما فرأوا أن المسكين هو من لا يملك شيئا مطلقا، والفقير هو الذي يجد الكفاف، وعلى هذا يكون الفقير أحسن حالا من المسكين[58].

والذي أميل إليه من خلال تتبعي لمدونات علماء التراث أن الآية ابتدأت بإنما التي تفيد القصر فقال الحق سبحانه : ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾

ثم الترتيب لأحقية الصدقات التي هي الزكاة بدأ الحق سبحانه بالفقراء الذين أتعبتهم الحياة فقار ظهورهم، أي فقرات ظهورهم، وحالتهم تغني للتعبير عنهم مما أصابهم من الفاقة والحاجة، أما المسكين فهو أذهلته المسكنة[59].

فالمرتبة الأولى في أشد الحاجة هم الفقراء، ويليها المساكين، لأن الفقير هو الذي لا زاد له، والمسكين من له زاد وإن كان قليلا.

- **<u>الفرق بين الخوف والخشية</u>**

جاء في لسان العرب لابن منظور أن "خوف: الخوف: الفزع خافه يخافه خوفاً وخيفة ومخافة، قال الليث: خاف يخاف خوفاً...يقال: خائف وخُيف وخيِف وخوف، وتخوفت عليه الشيء أي خفت وتخوفه: كخافه: وأخافه إياه إخافة وإخافاً –عن اللحياني، وخوف الرجل إذا جعل فيه الخوف، وخوفته بحالة يخافه الناس: ابن سيده: وخوف الرجل جعل الناس يخافونه، وفي التنزيل العزيز: "إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه" أي يجعلكم تخافون أولياءه؛ وقال ثعلب: معناه يخوفكم بأوليائه"[60]

وفي قوله تعالى: ﴿ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴾[61](يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) "أي فيما يأتون وما يذرون من الأعمال، يراقبون في ذلك ويخافون سوء الحساب في الدار الآخرة، فلهذا أمرهم على السداد والاستقامة في جميع حركاتهم وسكناتهم وجميع أحوالهم القاصرة والمتعدية"[62]

ويفسرها صاحب مفاتيح الغيب بقوله (وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) "والمعنى أنه وإن أتى بكل ما قدر عليه في تعظيم أمر الله وفي الشفقة على خلق الله، إلا أنه لابد وأن تكون الخشية من الله والخوف منه مستوليا على قلبه، وهذه الخشية نوعان: أحدهما أن يكون خائفا من أن يقع زيادة أو نقصان أو خلل في عباداته وطاعاته، بحيث يوجب فساد العبادة أو يوجب نقصان ثوابها.

والثاني: وهو خوف الجلال، وذلك لأن العبد إذا حضر عند السلطان المهيب القاهر فإنه وإن كان في غير طاعته إلا أنه لا يزول عن قلبه مهابة الجلالة والرفعة والعظمة"[63].

أما بقوله (وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) إشارة إلى الخشية من الله وأما (وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ) في إشارة إلى الخوف والخشية وسوء الحساب وهذا يدل على أن المراد من الخشية من الله ما ذكرناه من خوف الجلال والمهابة والعظمة والإلزام التكرار[64].

وعند النسفي يفسرها بقوله (وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) "أي وعيده كله"، (وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ) خصوصا فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا"[65] ولهذا فالخوف يتعلق بالمكروه، وبغير المكروه، تقول خفت المرض (وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ)[66] والخشية "تتعلق بمنزل المكروه، ولا يسمى الخوف من نفس المكروه خشية ﴿ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾[67] وعليه فإن تفسير قوله تعالى (ويخشون ربهم) فالخشية تكون من الذي يمكن أن يصيب بمكروه؛ ولذلك جعل الله تعالى الخشية منه، أي أنهم يخافون الله مالكهم وخالقهم ومربيهم، خوف إجلال وتعظيم، وجعل سبحانه المخاف من سوء العذاب، وأنت تقول: خفت زيداً، وتقول خفت المرض، ففي شيء تخافه، وشيء يوقع عليك ما تخافه وأولو الألباب، يخافون سوء حساب الحق سبحانه لهم؛ فيدفعهم هذا الخوف على أن يصلوا ما أمر به سبحانه أن يوصل، وأن يبتعدوا عن أي شيء يغضبه"[68].

وعليه فإنَّ الوصول للفرق الدلالي في تأويل مشكل القرآن الكريم يتطلّب آليات من المؤوّل إلى المفسّر على السواء للوصول لمقصدية الآية و تخريجها و تأويلها التأويل الصحيح و حلّ إشكالاتها ، وهذا ما تطرّقنا إليه في هذا البحث.

و يبقى هذا الجهد جهد المقلّ الذي يعترف بالتقصير فالخوص في كتاب الله و تأويل مشكل القرآن واستخراج الفروق الدلالية ليس بالأمر البسيط ولا الهيّن، فقد استعنّا بالمفسرين القدامى و المحدثين وجهودهم في تأويل الإشكالات اللفظية في القرآن الكريم فحبّا لكتاب الله والذود عنه.

الهوامش

[1]-الإسراء، 05.

[2]-المائدة، 118.

[3]-المائدة، 118.

[4]-ينظر: الشعراوي، خواطر الشعراوي، أخبار اليوم، قطاع الثقافة (د.ط)، (د.ت)، ص:8354.

[5]-الفرقان، 17.

[6]-الإسراء، 05.

[7]-ينظر: الشعراوي، خواطر الشعراوي، ص: 8345.

[8]- ينظر: الشعراوي، خواطر الشعراوي، ص: 8345.

[9]-ابن منظور، لسان العرب، دار صادر: ج10، ص:08.

[10]-الفرقان، 63.

[11]-الحجر، 42.

[12]-الشعراوي، خواطر الشعراوي، ص: 8355.

[13]-الشعراوي، خواطر الشعراوي، ص8355.

[14]- الشعراوي، خواطر الشعراوي، ص8357.

[15]-الشعراوي، خواطر الشعراوي، ص8355

[16]- الشعراوي، خواطر الشعراوي، ص8358.

[17]-قرأ الحسن (عبيداً لنا)، وقرأ الباقون (عباداً لنا)

[18]-أبو البقاء العكبري، التبيان في إعراب القرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ج2، 1425هـ، 1426هـ، 2005، ص:121.

[19]-ابن عباس، تنوير المقياس من تفسير ابن عباس، دار الكتب العلمية، 2012، لبنان، ط5، ص: 236.

[20]-ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1426هـ، 1427هـ، 2006، ص:1079.

[21]-الإسراء، 05.

[22]-الرازي، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، المكتبة التوقيفية، القاهرة، مصر (د.ط)، (د.ت) ج: 19، ص:126-127.

[23]-الكلبي (أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي)، طبعه وصححه وخرج آياته محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ط1، 1415هـ، 1995م، ص:482.

[24]-سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، ج:15، ص: 2213.

[25]-المائدة، 118.

[26]-الفرقان، 117.

[27]-الإسراء، 05.

[28]-النور، 11.

[29]-ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مجلد، 13، ط6، ص:62.

[30]-ابن عباس، تنوير المقياس من تفسير ابن عباس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:05، ص:368.

[31]-الرازي، مفاتيح الغيب، المكتبة التوفيقية، مجلد:12، القاهرة، مصر، ص:166.

[32]-ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1426هـ 1427هـ، 2006، ج:03، ص1296.

[33]-سيد قطب، في ظلال القرآن، ص:2561.

[34]-الشعراوي، خواطر الشعراوي، أخبار اليوم قطاع الثقافة، مجلد: 16، ص: 10215.

[35]-البقرة، 79.

[36]-تفسير الشعراوي، الشعراوي، م:1، ص430.

[37]-التوبة، 60.

[38]-ابن منظور، لسان العرب، ج21، ص:204.

[39]-المصدر نفسه، ص: 204.

[40]-المصدر نفسه، ص:204.

[41]-ابن منظور، لسان العرب، ص:205.

[42]-الكهف، 79.

[43]-ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ص:205.

[44]-المصدر نفسه، ص:205.

[45]-المصدر نفسه، ص: 205.

[46]-فاطر، 15.

[47]-ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ص205.

[48]-الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، دار الكتب المعرفة، ج1، ص361.

[49]-الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، ص: 361.

[50]-النسفي، تفسير النسفي، المكتبة التوفيقية، ج:02، القاهرة، مصر، ص:165.

[51]-ينظر: ابن عباس، تنوير المقباس لتفسير ابن عباس، ص:206.

[52]-الرازي، التفسير الكبير، المكتبة التوفيقية، مجلد:18، القاهرة، مصر، ص:101.

[53]-سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، ج:03، ص: 1669.

[54]-الطبري، تفسير الطبري، دار ابن الهيثم، القاهرة، ص: 196.

[55]-الشعراوي، خواطر الشعراوي، ج:09، ص: 5219.

[56]-ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1426هـ-1427هـ، 2006م، ج2، ص:860.

[57]-الكهف، 79.

[58]-ينظر: الشعراوي، خواطر الشعراوي، ج:09، ص: 5219.

[59]-ينظر: الشعراوي، خواطر الشعراوي، ص: 5219.

[60]-ابن منظور، لسان العرب، ج:05، ط:06، دار صادر، ص: 179.

[61]-الرعد، 21.

[62]-ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص: 981.

[63]-الرازي، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، ص: 35.

[64]-ينظر: الرازي، التفسير الكبير، ص35.

[65]-النسفي، تفسير النسفي، ج1، ص:308.

[66]-الرعد، 21.

[67]-طه، 94.

[68]-الشعراوي، تفسير الشعراوي، أخبار اليوم قطاع الثقافة، ص: 7278.

قائمة المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم
2. ابن عباس، تنوير المقياس من تفسير ابن عباس، دار الكتب العلمية، لبنان ، ط5، 2012.
3. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1426هـ-1427هـ، 2006م، ج2.
4. أبو البقاء العكبري، التبيان في إعراب القرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ج2، 1425هـ، 1426هـ، 2005.
5. الرازي، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، المكتبة التوقيفية، القاهرة، مصر (د.ط)، (د.ت) ج: 19

6. الشعراوي، خواطر الشعراوي، أخبار اليوم قطاع الثقافة، مجلد: 16.
7. الطبري، تفسير الطبري، دار ابن الهيثم، القاهرة_مصر.
8. الكلبي (أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي)، طبعه وصححه وخرج آياته محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ط1، 1415هـ، 1995م .
9. النسفي، تفسير النسفي، المكتبة التوفيقية، القاهرة_ مصر، ج:01.
10. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، ج:15.